

الخطاب القصصي الموجه للطفل

الأستاذة : خولة صديقي

جامعة سيدي بلعباس

البريد الإلكتروني skhawla11@gmail.com

ملخص

تعتبر القصة أهم الاعمال الأدبية التي تحتل الصدارة والمقام الأول في كتب الأطفال . فطور الطفولة، هو طور النمو والارتقاء، والقصة أحد العوامل الفعالة والمساعدة على نمو الطفل العقلي والوجداني، وهي وسيلة تثقيفية، ووسيلة لإطلاق طاقته الإبداعية، وتنمية ملكة التخيل والتصور والتحاور.

و للقصة أثر بالغ في تكوين الطفل ،ولهذا ولغيره من الأمور وجب الاهتمام بها واستغلالها في إعداد وتنشئة الطفل اجتماعيا ووجدانيا وخلقيا ونفسيا...وكذلك في سد احتياجاته المعرفية وإشباع فضوله ، وإمداده بزاد لغوي ، ولا عجب في أن تكون القصة بكل أشكالها هي النوع الطاغى في أدب الطفل . فهي شحنة تربوية تعليمية، لا يحسن الاستغناء عنها لما تتيحه للطفل من جلائل الإفادات.

الكلمات المفتاحية : القصة، الطفولة، التحاور، الابداع، السلوكات

Abstract

Short stories are among the most important and favorite literary works that considerably anticipate kids' interests. They remain among the first, if not the unique, priorities that kids want to have despite the abundance of other types of books. Childhood is undoubtedly considered as the formative period of kids' personalities; it's the chief stage that can shape the minds of kids through careful instructions that go hand in hand with their degree of understanding. At younger ages, the short story can incredibly contribute to the mindset and maturity of kids; it's an effective linguistic tool to develop their mental abilities, their behaviors, their communicative skills and many other faculties. It is therefore a vital tool to enrich their cultural knowledge, which might contribute to their imagination and creativity.

Key Words: Story, Kids, Childhood, Communication, Imagination, Interests, Behavior, Skill.

مقدمة:

تعتبر القصة أهم الأشكال الأدبية الموجهة للطفل والمحبة لديه . بل تحتل الصدارة والمقام الأول في كتب الأطفال . فطور الطفولة، هو طور النمو والارتقاء، والقصة أحد العوامل الفعالة والمساعدة على نمو الطفل العقلي والوجداني، وهي وسيلة تثقيفية، ووسيلة لإطلاق طاقته الإبداعية، وتنمية ملكة التخيل والتصور والتحاور ... ومن المعلوم أن القصة من أفضل وسائل مخاطبة الطفل، وأكثرها قدرة على إثارة اهتمامه، وعن طريقها يكتسب القدرة على القراءة ويعرف ما في الحياة من خير وشر.¹ وهي من أحب الأشكال التحريرية إلى نفسه ، لما لها من تأثير عظيم في تحريك مشاعره ومداعبة خياله، وإيقاظ معاني النجدة والإباء في نفسه . 2 إذ تعد أحد أنواع أو فنون أدب الطفل، ولعلها أقدم فن أدبي عرفه الإنسان في العهود الموعلة في القدم، وتهدف إلى الإمتاع والإفادة، و إلى غرس القيم والفضائل والعادات في نفوس الأطفال، وقد عرفت بأسماء عدة، منها: الحكاية والخرافة والخبر....، وتتناول القصة حادثة أو مجموعة من الحوادث تقوم بها شخصيات بشرية وغير بشرية، في إطار فني وبأسلوب راق يتنوع بين السرد والوصف والحوار . 3

وللقصة دور في التربية من حيث التأثير النفسي والعاطفي ، وهي شكل من أشكال الأدب الشائق، فيه جمال ومتعة ، وله عشاقه الذين ينتقلون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال ، فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة عجيبة أو غامضة تهرم الأبواب وتحبس الأنفاس ، ويلتقون بألوان من البشر والكائنات . 4

إنها عنصر هام في حياة أي طفل، لما لها من أثر كبير وعميق في سلوكه ونشأته، وعليه وجب الاهتمام والاعتناء باختيار القصة ومناسبتها له، لتفي بالغرض التربوي والفني. 5 وتستعين القصة بالكلمة في التجسيد الفني ، حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية ، كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من خلال خلق الشخصيات وتكوين الأجواء والمواقف والحوادث ، وهي لا تعرض معاني وأفكارا فحسب ، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الطفل ، إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية : كالإدراك والتخيل والتفكير ، وهي تشكل وعاءا لنشر الثقافة بين الأطفال . لأن من القصص ما يحمل أفكارا ومعلومات علمية، وتاريخية، وجغرافية، وفنية أدبية ونفسية واجتماعية. 6

وللقصة مكانة ممتازة بين الفنون الأدبية لمرونتها واتساعها للأغراض المختلفة ولجمال أسلوبها وخفتها على النفوس ، إذ يقبل عليها الناس ما لا يقبلون على غيرها

، فهي حبيبة إلى نفوسهم ، أثيرة عندهم ، تهواها نفوسهم وتطرب لها القلوب ،
وتصغي إليها الأسماع.7

والقصص بتخطيها أبعاد الزمان تنقل الأطفال عبر الدهور المختلفة كما تتجاوز بهم
الحاضر إلى المستقبل وتخطيها أبعاد المكان تنقلهم إلى مختلف الأمكنة وتجاوزها
الواقع تربي الأطفال للطوفان والتخليق على أجنحة الخيال . 8

ولها أهداف كثيرة : عقيدية ، تعليمية ، ترفيهية. شريطة نجاحها أسلوبا ومضمونا في
كسب شغف الطفل واهتمامه ، وإثارة التفكير والبحث عنده. فالقصة بما فيها من
أشخاص و أحداث ، تساعد على تقريب المفاهيم المجردة... ولا ينحصر تأثيرها في
نفوس الأطفال من خلال سردها أو قراءتها بل إنهم كثيرا ما يقلدون ما يجري فيها
من أحداث وسلوك. 9 فالطفل ميال إلى القصة، يلذ له الاستماع إليها، ويتشوق
لقراءتها أو أن يشهد حوادثها تمثل أمامه، لأن في القصة حركة وحياة تثير انتباهه،
وهي تجدد نشاطه لأن لها اتجاها مرسوما يأنس له الطفل ويجد متعة في تتبعه وفهم
أطواره

وللقصة وحدة موضوعية ولها بداية ونهاية، وهذا يساعد على تسلسل فكرتها
وترابط أجزائها، فيسهل على الطفل تتبعها دون أن يشتت ذهنه، أو يشرذم تفكيره.
10 فإذا كانت محكية تعلم الطفل فن الإصغاء وحسن الاستماع وتنمي عنده القدرة
على التفكير وطرح الأسئلة ومناقشة الأفكار. 11

ويبدأ الطفل استمتاعه بالقصة منذ الوقت الذي يستطيع فيه فهم ما يحيط به من
حوادث وما يذكر من أخبار وذلك في أواخر السنة الثالثة من عمره .

والقصص تعلم الطفل فن الحياة ، وتساعده على النمو، ذلك لأن خبراته الذاتية
المحدودة بحدود زمانه ومكانه لا يمكن أن تسمح له بالنمو المطلوب. ومن هنا تكون
تجارب الآخرين من خلال القصص التي تقدم له زادا يساعده على أن يتعرف على
أشياء لا تكاد تحصي، ومن خلال تفاعل الطفل مع الناس في القصة يتعلم وينمو.
12 إذ تحاول القصة بشكل عام إغناء حياة الطفل الداخلية وأن تفهمه بأنه يوجد
حلول للصعوبات ، وتحاول أن تعلمه التكيف مع الواقع والانحياز إلى القيم والمثل
العليا. 13 إذ يجد الأطفال في بعض القصص متنفسا لما يشعرون به من رغبات
مكبوتة ، إضافة إلى أنها تساعدهم على إنماء ثروتهم اللغوية ، فالأطفال يمكن أن
يفهموا القصة من خلال تكوين صورة عامة عن حوادثها ومضمونها رغم جهلهم
ببعض معاني كلماتها ، ومن خلال السياق يتعرفون على معاني كلمات كثيرة.

ولها طوعية في أن تكون مقروءة أو مروية أو ممثلة على المسرح أو مقدمة عبر الإذاعة أو التلفاز. 14 ولقصة الطفل قوانينها الموضوعية الخاصة (مقومات العمل القصصي المعروفة، التي يقوم عليها بناء العمل القصصي).

ان الخطاب القصصي الموجه للأطفال، بكل أشكاله و أنماطه جزء من الخطاب السردي العام وفرع منه، فلا فرق بينه وبين الخطاب الموجه للراشدين إلا في مراعاة خصوصية هذا المتلقي الصغير: كالميل إلى السهولة والوضوح والتبسيط، والتشويق، والبعد عن الغموض والتعقيد. 15 ولكي تنجح القصة في أداء المهمة المنوطة بها على أحسن وجه لابد أن تراعي في كتابتها مجموعة من المتطلبات الفنية ممثلة في : حسن اختيار الفكرة، وبناء الحكمة ، ومراعاة الأسلوب المناسب لبنائها، وتصوير شخصياتها بشكل مقنع أو مقبول . 16 والحديث عن سرد القصة للطفل يقودنا إلى الوقوف أمام اللغة التي تستخدم في سرد القصة وذلك باعتبار اللغة من أبرز العوامل التي تؤثر في استيعاب القصة وفهمها .وللغة أهمية كبرى في حياة الأطفال ،"فالعامل القصصي تشكيل لغوي" ، لذلك وجب اختيار الألفاظ المناسبة لسن الطفل الذي نكتب له ، فاللغة ذات الألفاظ الصعبة أو الغريبة التي لا يفهمها الطفل ، تعوق عملية التلقي والفهم والعيش في قلب الحدث ، كما تعطل انسيابية التمثل والتخيل، كذلك فإن الألفاظ ذات الدلالات المعنوية ، أو التجريدية تترك الطفل وتورثه الحيرة ، وتوقعه في الغموض ، ولهذا فإن الكلمات ذات الدلالات المجسدة ، والتي ترمز إلى أشياء يعرفها الطفل في بيئته الخاصة أو العامة هي التي تناسبه ولا يستطيع الطفل أن يفهم التجريدات إلا في سن متأخرة ، بعد أن تنمو مداركه ، وتكتنف خبراته وتربو ثقافته . 17

أنواع القصة:

- 1- القصص الواقعي: وتشتق حوادثه من بيئة الطفل، أو حوادث التاريخ .
- 2-القصص الخرافي: وهو قصة خيالية ، وينبغي في هذا النوع البعد عما يفرع الطفل ويؤرقه من الأعمال المزعجة والصور البشعة المخيفة ، فهذا يؤدي إلى اضطراب أعصابه ، وتعقد نفسيته ، ووقوعه فريسة للجبن وانحياز الشخصية . 18 وفي هذا الشأن يقول "ملاك جرجس" في كتاب "مشاكل الأطفال النفسية " : "إن القصص الغريبة المزعجة التي نعلمها للأطفال في بعض كتب المدارس وفي مجلات الأطفال لها أكبر الضرر على نفسية الطفل لأن القصص الخرافية التي تلعب العفاريث والسحرة البطولة فيها ، كفيلة بخلق الطفلاًحيانا يعاني من قلق نفسي

مدمر وخوف شديد من المجهول . 19 فقصص الخوارق التي تلبس أبطالها أدوارا خارقة عن الطبيعة الإنسانية مثل قصص "سوبرمان وباتمان وغيرها ، هذا البطل الذي لا يعرف الهزيمة ويملك من القوة العضلية والآلية ما يعجز خصومه عن مواجهته ، هذا إضافة إلى العقل الذي يمتلكه .إن هذه القصص تؤثر على الطفل ونفسيته وسلوكه لبعدها عن الواقع ،فعندما يعجز الطفل عن تقليد البطل يصاب بالإحباط والهزيمة النفسية ويلوذ بخياله هربا من هذا الواقع الذي لا يستطيع أن يحاكيه ، وبدلا من أن تكون هذه القصص مجالا رحبا لسعة عقل الطفل ودافعا للتقليد الإيجابي فإنها تسلك به سبل اليأس والتعاشي السلبي مع واقع الحياة العادية .20

3-**القصة الفكاهية :** يقول الجاحظ:"الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته "21ولهذا النوع أثر تهذيبي محمود، لأن السلوك الحميد لا يعلم دائما عن طريق المواعظ الجادة أو النصائح الصارمة الحازمة، بل قد تكون المواقف الفكاهية أشد تأثيرا وأكثر نجاحا.22والقصة الفكاهية حكاية هزلية مضحكة تبدد الأحزان والهموم ، ولها فوائد كثيرة ، فهي تمرن عضلات الصوت، وتؤدي إلى الاسترخاء ومن المفيد للأطفال أن يضحكوا ، إذا لم يكن ضحكهم تهكما أو سخرية من الآخرين . فالضحك والفكاهة يجعلان الدم يجري بحرية أكثر في الشرايين ، ويفكان حبال الضغط والتوتر للشعور والتفكير.23

4-**قصص الحيوان:** مما لا جدال فيه أن للحيوان منزلة لدى الطفل وتقديرا عظيما،فهو يلعب القطط والكلاب ،ويتعشق أن يشاهد مغامرات النمر والأسود وهي تحدث جلبة في الأدغال والغاب، وهذا ما أدركه كتاب أدب الأطفال فخصصوا جزءا كبيرا من إبداعاتهم لقصص تتناول الحيوان ومغامراته. 24

5-**القصص المصورة :** نعني بالقصص المصورة الكتب التي تعتمد على الصورة اعتمادا كليا أو جزئيا ،وهي من أكثر الوسائل التعليمية التي تستخدم لتعليم أطفال ما قبل المدرسة ،الذين باستطاعتهم أن يقرأوا الصور التي تساعدهم على تفسير الأحداث من خلال المراقبة والملاحظة والمقارنة ،وكلما تقدم الطفل في القدرة على القراءة يقل عدد الصور ويزداد عدد الكلمات . والرسوم والصور الملونة تساهم في إخراج القصة إخراجا فنيا، يزيد من جاذبيتها وأناقتها.25 وقد يتحول دور الصورة من تدعيم النص المكتوب إلى الهيمنة عليه إذا ما استخدمت الألوان بشكل جذاب،

فالرسوم الجيدة توحى بالنص . مع بقائها في نهاية المطاف منقوصة من خدمات اللغة، حيث لا يتم التبليغ إلا بالقراءتين معا لغة ورسم الفكرة المنطوقة + الفكرة المرسومة = تكامل تفسيري

ولالألوان دور كبير في جذب الأطفال ، وترغيبهم في المطالعة وحثهم على حب الكتاب ، ويلعب التنسيق بين الألوان وجمال الرسم والصورة دورا مهما في نفسية الطفل ، لأن تزامم الألوان وكثرتها قد تؤدي إلى تشويه جمال الرسم في حين يؤدي التناسق إلى إبراز جمال الرسم ووضوح معالنه ، وسحروقه على النفس . 26

6- القصص الديني: وهي التي تستقى من مصادر دينية وتعمل على تنمية الفضائل وإبعاد الطفل عن الشر والإثم بأسلوب مشوق. 27 وهناك القصص التاريخي، والشعبي، والاجتماعي، وقصص الخيال العلمي...

وتجدر الإشارة إلى أن جمهور الأطفال جمهور غير متجانس، فلكل مرحلة من مراحل الطفولة خصائصها ومميزاتها وقصصها التي تناسبها.

ففي مرحلة الطفولة المبكرة (أو مرحلة الخيال الإيهامي) :من سن "3 إلى 5" سنوات ، يتقبل الطفل بشغف القصص التي تتكلم فيها الحيوانات والطيور والجماد . 28 وفي مرحلة الطفولة المتوسطة (أو مرحلة الخيال الحر): والتي تمتد من "6 إلى 8" سنوات تقريبا ، تناسبهم بعض أساطير الشعوب المختلفة على أن تكيف مع ثوابت الأمة ومكوناتها الثقافية كقصص ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ... 29

مرحلة الطفولة المتأخرة (أو مرحلة المغامرة والبطولة): وتمتد ما بين "9 إلى 12" سنة تقريبا. والقصص التي تناسب الأطفال هنا هي: قصص المغامرات والرحلات والشجاعة والمخاطرة ، وقصص المكتشفين ، وقصص الأبطال الحقيقيين : كصلاح الدين الأيوبي، وخالد بن الوليد، وطارق بن زياد... 30

وباعتبار القصة جزءا محوريا من الأدب الموجه للطفل ، فإن جل ما ينطبق على أدب الطفل عموما ينطبق عليها بنسب متباينة.

وعليه ينبغي الإشارة إلى أن ثقافتنا العربية المعاصرة لم تول أدب الطفل العناية التي يستحق ويكفي أن نشير إلى أن نقادنا أهملوه فلم يتجشموا عناء قراءة نصوصه ترفعا ، فظل بسبب هذا مجهولا يشق على الدارس تقييمه ، فكأنه يمثل الدرجة الدنيا من الكتابة، فليس غريبا بعد هذا أن يظل خارج الأدب على اندراج فيه قابعا في حوافه ، يصبو إلى شرعية نقدية تسوغ حضوره . فوجود الحركة النقدية كفيل بمسح الأعمال الأدبية بشمول، وتقييمها بدقة ليعطي كل ذي حق حقه، ولتتضح مقاييس التقييم بدقة

وتستبين معالم الطريق، فقد دس كل الكتاب أنوفهم إلى عالم الطفولة، لكن رشح الأنوف أركم الأطفال، لأن المادة المقدمة إليهم متدنية المضامين، تضر أكثر مما تنفع . 31
فللقصة أثر بالغ في تكوين الطفل ،ولهذا ولغيره من الأمور وجب الاهتمام بها واستغلالها في إعداد وتنشئة الطفل اجتماعيا ووجدانيا وخلقيا ونفسيا...وكذلك في سد احتياجاته المعرفية وإشباع فضوله ، وإمداده ب زاد لغوي ، ولا عجب في أن تكون القصة بكل أشكالها هي النوع الطاغي في أدب الطفل . فهي شحنة تربويّة تعليميّة، لا يحسن الاستغناء عنها لما تتيحه للطفل من جلائل الإفادات.

الهوامش:

1. عبد العزيز الخضراء: من يربي أبناءنا في هذا الزمن، دار القدس للعلوم، سوريا، دمشق، د.ط، 2012، ص.244
2. خديجة السالك :70 قصة تحكيها لطفلك ، دار المجدد ، سطيف ، الجزائر ، د.ط، د.ت، ص.5
3. يوسف مارون: أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط.2011، ص.128
4. أحمد نجيب: دراسات في أدب الأطفال . فن الكتابة للأطفال . دار إقرأ، بيروت ، لبنان ، ط.1983، 2، ص.73
5. مديرية التكوين: همزة وصل "مجلة التربية والتكوين"، ع.15، 1979-1980، الجزائر، ص.103
6. قدرية محمد البشري وأخرى: أدب الأطفال وثقافتهم، دار الخليج، عمان، ط.2011، 1، ص.231
7. عمر سليمان عبد الله الأشقر : صحيح القصص النبوي ، دارالبرهان ، القاهرة، ط.3، 2005، ص.12
8. قدرية محمد البشري وأخرى: أدب الأطفال وثقافتهم، ص.232
9. محمد حسين بريغش : أدب الأطفال "أهدافه وسماته"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.3، 1997، ص.211
10. عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دارالمعارف، مصر، ط.8، د.ت، ص.371
11. عمر الأسعد: أدب الأطفال، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، د.ط، 2000، ص.91
12. محمد السيد حلاوة :الأدب القصصي للطفل "مضمون اجتماعي نفسي"، مؤسسة حورس، الإسكندرية، د.ط ، 2000، ص.7-8

13. مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط. 2001، 1، ص. 108
14. هادي نعمان الهيتي : ثقافة الأطفال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط. 1988، ص. 173
15. العيد جلولي : جماليات المكان في الخطاب السردى الموجه للأطفال ،الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب "يومي 11 إلى 13 مارس 2003"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة. ص. 156
16. الربيعي بن سلامة : أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي ، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة ، الجزائر ، ط. 2009، 1، ص. 83- 84
17. سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الطفل "قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، الأردن، ط. 2، 2009، ص. 148-149
18. عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني، ص. 273
19. حسن مرعي: المسرح التعليمي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط. 2000، 1، ص. 24
20. راجع العوي: من أعمال الملتقى الوطني الأول في التفكير النقدي الأدبي العربي بين الأصالة والمعاصرة (9، 8 ماي 2005)، مطبعة المعارف ،عنايه ،الجزائر ، ط. 2008، 1، ص. 124-125
21. الجاحظ: البخلاء، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ط. 1980، ص. 18
22. عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني ، ص. 373
23. يوسف مارون: أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق ، ص. 138-139
24. محمد مرتاض : من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر ، ط. 2، 1994 ، ص. 103
25. يوسف مارون: أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، ص. 147-148
26. عميش عبد القادر : قصة الطفل في الجزائر ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ، الجزائر، د. ط. د. ت ، ص. 216-217
27. يوسف مارون: أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، ص. 195
28. أحمد نجيب : في أدب الأطفال "فن الكتابة للأطفال "، ص. 38-39
29. الربيعي بن سلامة : من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي ، ص. 18
30. أحمد نجيب : في أدب الأطفال "فن الكتابة للأطفال"، ص. 41-43
31. راجع العوي: من أعمال الملتقى الوطني الأول في التفكير النقدي الأدبي العربي بين الأصالة والمعاصرة، ص. 127